مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

سيد قطب وتوظيفه لقواعد التفسير من خلال تفسيره في ظلال القرآن (من سورة التوبة إلى سورة يوسف) "جزء11–12 من القرآن"

Sayyed Qutb and his use of the rules of interpretation through his interpretation in the shadows of the Koran

د. فاطمة سعد النعيمي
جامعة قطر
fatma.s.al-naimi@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 06–03–2018 **تاريخ القبول:** 25–03–2019

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع توظيف سيد قطب لقواعد التفسير من خلال تفسيره، هادف إلى استخلاص قواعد التفسير التي وظفها سيد قطب في تفسيره، وذلك من خلال الاستشهاد بها في التفسير، وكذلك جعلها دليلاً مستقلاً في انتزاع المعاني، وأن لسيد قطب منهجاً سديداً، حيث يعتمد تفسيره على إيحاءات النص القرآني، وتأثيره في النفس، بعيد عن الخوض في المباحث الفقهية واللغوية والنحوية. التي يرى أن المفسرين والمؤولين عقدوا القرآن بالخوض فيها؛ ومنه اعتماده على هذه القواعد في مقامات الترجيح تنصيصاً أو إشارة، ظاهراً أو خفياً، وكذا ترجيحه استنادا إلى النص القرآني أو اللغة.

الكلمات المفتاحية: سيد قطب؛ قواعد التفسير؛ في ظلال القرآن

Abstract:

This research addresses the interpretation rules that have been applied in Sayed Qutb interpretation. Thus, the paper aim to extract the interpretation rules, that's been employed by Sayed Qutb in his interpretation through inferencing these rules of interpretation and meaning. It has been argued that Sayed

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

Qutb used some inspiration Quran quotes in his approach, in order, to move from Mabahith differentiation. This due to release the conflict that's been tackled from other interpreters that considering the different Mabahith rules within the Quran context. Accordingly, he highlighted this conflict in his interpretation to shed the light on the right rules.

Keywords: Employment ; Sayed Qutb ; the interpretation rules ; In the shadows of the Koran

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد:

قد اعتنى أئمة المسلمين بقواعد التفسير اعتناء كبيراً، فضمنوها كتبهم نصاً وإشارة وتطبيقاً وإعمالا، بدءا بكتب التفسير ومروراً بكتب علوم القرآن وأصول الفقه وعلوم اللغة، وانتهاء بإفراد هذه القواعد في مصنف جامع، وهذا ما بدأ يظهر في الآونة الأخيرة، إذ إنه يعد من الأبواب الجديدة في العلم، فظهر كتاب " القواعد الحسان لتفسير القرآن " للعلامة عبد الرحمن السعدي، و" قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل " لعبد الرحمن حبنكة الميداني، و" قواعد التفسير " للشيخ خالد بن عثمان السبت .

وذلك لأهمية القواعد في استنباط معاني القرآن وفهمه على الوجه الصحيح، وضبط التفسير بقواعده الصحيحة، وما يورثه التعامل مع القواعد من ملكة علمية تعين على فهم القرآن ومعرفة تفسيره.

هذه الأهمية تكمن في دراسة لسيد قطب وتوظيفه لقواعد التفسير في تفسيره، لبيان مدى اعتنائه رحمه الله بقواعد التفسير، والأسس التي بنى عليها سيد قطب تفسيره؛ وبيان مدى اعتناء سيد قطب بالقواعد وتطبيقها في تفسيره، والتعرف على طريقة سيد

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

قطب في توظيف قواعد التفسير، ومدى التزامه بهذا المنهج في أقواله وترجيحاته، وأخيراً معرفة قوة الاختيار أو ضعفه دون تعصب له أو عليه.

أما المنهج المتبع: هو منهج استقرائي وصفي التحليلي وذلك كما يلي:

- القراءة الفاحصة والمتأنية للقدر المبحوث فيه من كتاب " في ظلال القرآن " .
- تتبع القواعد التي نص عليها سيد قطب، ثم النظر في مدى التزامه بها في باقي المواطن من تفسيره .
- الوقوف على الاستدلال بالقواعد عند سيد قطب، والنظر فيما إذا كان له منهج مطرد في ذلك.
- دراسة عبارات سيد قطب للوقوف على القاعدة المستند إليها في التفسير .
- التوصل إلى منهج عام لسيد قطب في توظيف قواعد التفسير .
- ذكر أمثلة وشواهد تبين المنهج الذي سار عليه سيد قطب في توظيف وتطبيق القواعد من خلال تفسيره .

خطة البحث:

المبحث الأول: طريقة سيد قطب في توظيف قواعد التفسير العامة:

المطلب الأول: الاستشهاد بقواعد التفسير في التعامل المباشر مع النص القرآني.

المطلب الثاني: التعبير القرآني ذو دلالات وإيحاءات.

المطلب الثالث: الاستفادة من القواعد الأصولية في التفسير.

المبحث الثاني: طريقة سيد قطب في توظيف القواعد المتعلقة بالنص القرآني:

المطلب الأول: القواعد المتعلقة بأسباب النزول .

المطلب الثاني: القواعد المتعلقة بالسياق القرآني .

المطلب الثالث: القواعد المتعلقة بالنظر في توجيه الخطاب الرباني.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

المبحث الثالث: طريقة سيد قطب في توظيف القواعد المتعلقة بتفسير القرآن بالقرآن والسنة والأثر:

المطلب الأول: القواعد المتعلقة بتفسير القرآن بالقرآن.

المطلب الثاني: القواعد المتعلقة بتفسير القرآن بالسنة.

المطلب الثالث: القواعد المتعلقة بتفسير القرآن بالأثر.

المبحث الرابع: طريقة سيد قطب في توظيف قواعد التفسير المتعلقة باللغة:

المطلب الأول: القواعد المتعلقة باستعمال الألفاظ والمعاني.

المطلب الثاني: القواعد المتعلقة بالضمائر.

خاتمة: وتشتمل على ذكر لأهم نتائج البحث مرفقة بتوصيات .

المبحث الأول: طريقة سيد قطب في توظيف قواعد التفسير العامة:

المطلب الأول: الاستشهاد بقواعد التفسير في التعامل المباشر مع النص القرآني.

والقصد من ذلك مدى إيراد سيد قطب لهذه القواعد في دعم أو تقرير معنى دل عليه النص القرآني مباشرة، فقد جعل من القرآن مصدره الأول ولا يعود لغيره إلاّ لأجل الاحتجاج والتوثيق هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّه قد تجنب الخوض في المباحث اللغوية والكلامية والفقهية لا لشيء إلاّ ليبقى اتصاله بالنص القرآني مستمراً وحتى لا يمنع ذلك كله من التلقي المباشر والصحيح لروح القرآن وأهدافه وتوجيهاته، وهذا ملاحظ عند سيد قطب، وذلك أنه يستلهم أحيانا المنهج الصحيح بنص قاعدة تفسيرية أو الإشارة إليها يدعم بها المعنى الوارد في الآية .

ومثال ذلك:

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

قال تعالى: (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ....)[التوبة: 93].

يذكر سيد قطب: (وهو حال وشأن وجو لا تملك الألفاظ البشرية أن تعبر عنه؛ ولكن يُتنسم ويُستشرف ويستجلى من خلال النص القرآني بالروح المتطلع والقلب المتفتح والحس الموصول ! ذلك حالهم الدائم مع ربهم: (رضي اللّه عنهم ورضوا عنه) . وهناك تنتظرهم علامة هذا الرضى: (وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) ... (ذلك الفوز العظيم) . .وأي فوز بعد هذا وذلك عظيم)[1]

فهنا استدل سيد قطب بقاعدة من قواعد التعامل المباشر بالنص القرآني التي أوردها في بيان الوجه التفسيري الذي ذهب إليه في الآية.

المطلب الثاني: التعبير القرآني ذو دلالات وإيحاءات

من طريقة سيد قطب في توظيف القواعد أن يستند أحيانا إلى التعبير والأداء القرآني لبيان المراد من الآية، فيجعل منها دليلا مستقلا في فهم وتفسير الآية.

وتوضيح ذلك بالمثال:

قال تعالى: (يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[التوبة: 95].

والتعبير عن عدم التصديق والثقة والائتمان والاطمئنان بقوله تعالى: (لن نؤمن لكم) ذو دلالة خاصة.

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1705/11–1706 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

فالإيمان تصديق وثقة وائتمان واطمئنان. تصديق بالقول وائتمان بالعقل واطمئنان بالقلب، وثقة من المؤمن بربه، وثقة متبادلة بينه وبين المؤمنين معه . وللتعبير القرآني دائماً دلالته وايحاؤه[1] .

ومن هذا أيضاً قول سيد قطب عند تفسير قوله تعالى: (الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[التوبة: 97].

والتعبير بهذا العموم يعطي وصفاً ثابتاً متعلقاً بالبدو وبالبداوة. فالشأن في البدو أن يكونوا أشد كفراً ونفاقاً، وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل اللّه على رسوله[2].

ويذكر في قوله تعالى: (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [التوبة 118].

تاب عليهم من هذا الذنب الخاص، ليتوبوا توبة عامة عن كل ما مضى، ولينيبوا إلى اللّه إنابة كاملة[3].

فهذه الأمثال كلها تشير إلى العموم والخصوص ودلالة كل منهما.

وفي سورة يونس قال تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [يونس: 38].

قال سيد قطب: (وقد ثبت هذا التحدي؛ وثبت العجز عنه . وما يزال ثابتا ولن يزال. والذين يدركون بلاغة هذه اللغة، ويتذوقون الجمال الفني والتناسق فيها، يدركون أن هذا النسق من القول لا يستطيعه إنسان. وكذلك الذين يدرسون النظم الاجتماعية، والأصول التشريعية، ويدرسون النظام الذي جاء به هذا القرآن، يدركون أن النظرة فيه إلى تنظيم الجماعة الإنسانية ومقتضيات حياتها من جميع جوانبها، والفرص المدخرة فيه

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1695/11 .

[2]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1699/11.

[3]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1732/11.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

لمواجهة الأطوار والتقلبات في يسر ومرونة...كل أولئك أكبر من أن يحيط به عقل بشري واحد، أو مجموعة العقول في جيل واحد او في جميع الأجيال. ومثلهم الذين يدرسون النفس الإنسانية ووسائل الأصول إلى التأثير فيها وتوجيهها ثم يدرسون وسائل القرآن وأساليبه .

فليس هو إعجاز اللفظ والتعبير وأسلوب الأداء وحده، ولكنه الاعجاز المطلق الذي يلمسه الخبراء في هذا وفي النظم والتشريعات والنفسيات وما إليها...)[1]

هنا يشير سيد قطب إلى إعجاز اللفظ والتعبير وأسلوب الأداء.

وفي قوله تعالى: (وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) [هود: 64].

ولا يذكر السياق صفة لهذه الناقة التي أشار إليها صالح لتكون آية لهم وعلامة . ولكن في إضافتها لله: (هذه ناقة الله) وفي تخصيصها لهم: (لكم آية) ما يشير إلى أنها كانت ذات صفة خاصة مميزة، يعلمون بها أنها آية لهم من الله[2].

وفي هذا المثال يشير إلى صفة خاصة وليست عامة في جميع الفصيلة من البهائم.

ويشير سيد قطب في سورة هود إلى التعبير القرآني الذي جاء فيها عن حقيقة التوحيد بالأمر وبالنهي معا؛ بحيث يؤكد أحدهما الآخر، التوكيد الذي لا تبقى معه ثغرة ينفذ منها الشرك في صورة من صوره الكثيرة...

وقد تكرر مثل هذا التعبير القرآني في مواضع شتى؛ هذه نماذج منها من هذه السورة ومن سواها:

[1] – قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1785/11.

[2] – قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1908/12.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

(الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ* أَلَّا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) [هود: 1 – 2]

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ*أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ) [هود: 25 – 26]

(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلا مُفْتَرُونَ) [هود: 50]

وهو منهج مطرد في التعبير القرآني عن حقيقة التوحيد، له دلالته من غير شك . سواء في تجلية قيمة هذه الحقيقة وضخامتها التي تستدعي ألا توكل في أي جانب من جوانبها إلى المفهومات الضمنية والمقتضيات اللازمة، وإنما ينص نصا منطوقا على كل جانب فيها . أو في دلالة هذه الطريقة على علم الله – سبحانه – بطبيعة الكائن الإنساني، وحاجته في تقرير هذه الحقيقة الكبيرة، وصيانتها في حسه وتصوره من أية شبهة أو غبش، إلى التعبير الدقيق عنها على ذلك النحو، الذي يتجلى فيه القصد والعمد... ولله الحكمة البالغة... وهو أعلم بمن خلق، وهو اللطيف الخبير[1].

في هذا المثال يؤكد سيد قطب على قاعدة التعبير بالأمر وبالنهي معا؛ بحيث يؤكد أحدهما الآخر.

وهنا أيضاً في سورة يوسف يقول سيد قطب: (من لطائف التناسق أن يذكر يوسف الحصيف الكيس اللطيف المدخل، صفة الله المناسبة... (اللطيف). في الموقف الذي يتجلى فيه لطف الله في التصريف:

(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1936/12.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) [يوسف: 100].

ومن لطائف التناسق ما سبق أن أشرنا إليه من التطابق في السورة بين تقديم القصص، والتعقيب المباشر عليه، والتعقيب الختامي الطويل. . وكل هذه التعقيبات تتجه إلى تقرير قضايا واحدة، وتتلاقى عليها بين البدء والختام...)[1]

حيث يشير إلى قاعدة التطابق والتناسق في اللغة.

ويذكر أيضاً في قوله تعالى: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) [يوسف: 22].

فقد أوتي صحة الحكم على الأمور، وأوتي علما بمصائر الأحاديث أو بتأويل الرؤيا، أو بما هو أعم، من العلم بالحياة وأحوالها، فاللفظ عام ويشمل الكثير. وكان ذلك جزاء إحسانه. إحسانه في الاعتقاد وإحسانه في السلوك[2]: (وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)

يتعلق الأمر هنا بأن لفظ العام يفيد الكثرة.

المطلب الثالث: الاستفادة من القواعد الأصولية في التفسير:

فكثيراً ما نجد سيد قطب يورد قاعدة أصولية أو يشير إليها، وذلك في عموم التفسير، وأورد هنا بعض الأمثلة تدليلا على ذلك: قال تحت قوله تعالى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [التوبة: 123].

فنجد أمراً بقتال الذين يلون المسلمين من الكفار. لا يذكر فيه أن يكونوا معتدين على المسلمين ولا على ديارهم... وندرك أن هذا هو الأمر الأخير، الذي يجعل

[1] – قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1968/12.

[2] – قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1979/12.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

"الانطلاق" بهذا الدين هو الأصل الذي ينبثق منه مبدأ الجهاد، وليس هو مجرد "الدفاع" كما كانت الأحكام المرحلية أول العهد بإقامة الدولة المسلمة في المدينة.

ويريد بعض الذين يتحدثون اليوم عن العلاقات الدولية في الإسلام، وعن أحكام الجهاد في الإسلام، وبعض الذين يتعرضون لتفسير آيات الجهاد في القرآن... أن يتلمسوا لهذا النص النهائي الأخير قيدا من النصوص المرحلية السابقة؛ فيقيدوه بوقوع الاعتداء أو خوف الاعتداء! والنص القرآني بذاته مطلق، وهو النص الأخير! وقد عودنا البيان القرآني عند إيراد الأحكام، أن يكون دقيقا في كل موضع؛ وألا يحيل في موضع على موضع؛ بل يتخير اللفظ المحدد؛ ويسجل التحفظات والاستثناءات والقيود والتخصيصات في ذات النص . إن كان هناك تحفظ أو استثناء أو تقييد أو تخصيص[1].

وقال إن حقيقة توحيد العبادة لله ترد في صيغتين هكذا: عند قوله تعالى: (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)[هود: 50] (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) [هود: 2].

وواضح اختلاف الصيغتين بين الأمر والنهي. . فهل مدلولهما واحد؟ إن مدلول الصيغة الأولى: الأمر بعبادة الله، وتقرير أن ليس هناك إله يعبد سواه . . ومدلول الصيغة الثانية: النهي عن عبادة غير الله...

والمدلول الثاني هو مقتضى المدلول الأول ومفهومه... ولكن الأول "منطوق" والآخر "مفهوم".. ولقد اقتضت حكمة الله – في بيان هذه الحقيقة الكبيرة – عدم الاكتفاء بالمفهوم، في النهي عن عبادة غير الله. وتقرير هذا النهي عن طريق منطوق مستقل. وإن كان مفهوما ومتضمنا في الأمر الأول!

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1737/11.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

إن هذا يعطينا إيحاء عميقا بقيمة تلك الحقيقة الكبيرة، ووزنها في ميزان الله سبحانه، بحيث تستحق ألا توكل إلى المفهوم المتضمن في الأمر بعبادة الله وتقرير أن لا إله يعبد سواه؛ وأن يرد النهي عن عبادة سواه في منطوق مستقل يتضمن النهي بالنص المباشر لا بالمفهوم المتضمن ! ولا بالمقتضى اللازم![1]

المبحث الثاني: طريقة سيد قطب في توظيف القواعد المتعلقة بالنص القرآني:

المطلب الأول: القواعد المتعلقة بأسباب النزول.

اعتنى سيد قطب بذكر أسباب النزول غالبا، لما يعلم من أهميتها في معرفة الصواب من التفسير، ومما خلصت إليه من طريقته في هذا المطلب ما يلي:

-حول النظر فيما ورد من أسباب النزول:

في قوله تعالى: (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [التوبة: 102].

يقول سيد قطب: (والظاهر أن هذا التصنيف قد نزلت به هذه الآيات بعد العودة من تبوك؛ وبعد اعتذار من اعتذر من المنافقين المتخلفين؛ ومن المؤمنين المتخلفين كذلك. سواء منهم من اعتذر صادقا ومن ربط نفسه بسارية المسجد حتى يحله رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ومن لم يعتذر بشيء راجياً أن يقبل اللّه توبته بصدقه، وهم الثلاثة الذين خلفوا فلم يحكم في شأنهم بشيء حتى تاب اللّه عليهم وقبل توبتهم؛ كان مجموع هؤلاء يمثل صنوف الناس من حول الدعوة في الجزيرة بعد غزوة تبوك)[2].

ومن ذلك توظيفه لقاعدة " النظر فيما ورد من أسباب النزول"[3].

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1935/12.

[2]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1702/11، 1706، 1709.

[3]– الميداني، حسن حبنكه، قواعد التدبر الأمثل، 203.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

وفي قوله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ * أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبة: 107–110].

يذكر سيد قطب سبب نزول هذه الآيات الكريمة نقلن عن ابن كثير في تفسيره: (قال ابن كثير في التفسير: سبب نزول هذه الآيات الكريمات أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إليها رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب . وكان قد تنصر في الجاهلية. وقرأ علم أهل الكتاب؛ وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير. فلما قدم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مهاجراً إلى المدينة، واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية. وأظهرهم اللّه يوم بدر، شرق اللعين أبو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها، وخرج فاراً إلى كفار مكة من مشركي قريش يمالئهم على حرب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب، وقدموا عام أحد فكان من أمر المسلمين ما كان، وامتحنهم اللّه عز وجل، وكانت العاقبة للمتقين . وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين، فوقع في إحداهن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم. وأصيب في ذلك اليوم، فجرح وجهه، وكسرت رباعيته اليمنى السفلى، وشج رأسه – صلوات اللّه وسلامه عليه – وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته، فلما

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم اللّه بك عيناً يا فاسق يا عدو اللّه! ونالوا منه وسبوه، فرجع وهو يقول: واللّه لقد أصاب قومي بعدي شر!

وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قد دعاه إلى اللّه قبل فراره، وقرأ عليه من القرآن، فأبى أن يسلم وتمرد، فدعا عليه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أن يموت بعيداً طريداً، فنالته هذه الدعوة . . وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد، ورأى أمر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي صلى الله عليه وسلم فوعده ومناه وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ويغلبه، ويرده عما هو فيه؛ وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه، ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك؛ فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى تبوك؛ وجاءوا فسألوا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم، فيحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته؛ وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية! فعصمه اللّه من الصلاة فيه، فقال: "إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا–إن شاء الله –" فلما قفل – عليه السلام – راجعاً إلى المدينة من تبوك، و لم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل جبريل بخبر مسجد الضرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم – مسجد قباء – الذي أسس من أول يوم على التقوى. فبعث رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة.[وكذلك روى –بإسناده– عن ابن عباس وعن سعيد بن جبير ومجاهد وعروة بن الزبير وقتادة])[1].

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1710/11.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

ومن ذلك توظيفه لقاعدة " القول في الأسباب موقوف على النقل والسماع"[1].

وقوله تعالى: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ) [التوبة: 113–116].

والظاهر أن بعض المسلمين كانوا يستغفرون لآبائهم المشركين ويطلبون إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم؛ فنزلت الآيات تقرر أن في هذا الاستغفار بقية من تعلق بقرابات الدم، في غير صلة باللّه، لذلك ما كان للنبي والذين آمنوا أن يفعلوه. . ما كان لهم قطعاً وليس من شأنهم أصلاً . . أما كيف يتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم، فالأرجح أن يكون ذلك بموتهم على الشرك، وانقطاع الرجاء من أن تكون لهم هداية إلى الإيمان .

وقد ورد أنه لما نزلت الآيتان خشي الذين كانوا يستغفرون لآبائهم المشركين أن يكونوا قد ضلوا لمخالفتهم عن أمر اللّه في هذا فنزلت الآية التالية تطمئنهم من هذا الجانب، وتقرر القاعدة الإسلامية: أنه لا عقوبة بغير نص؛ ولا جريمة بغير بيان سابق على الفعل: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [التوبة: 115][2].

–حول تتبع مراحل التنزيل:

[1]– السبت، خالد، قواعد التفسير، 54/1.

[2]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1721/11.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

يذكر سيد قطب إن سورة التوبة مدنية من أواخر ما نزل من القرآن – إن لم تكن هي آخر ما نزل من القرآن– ومن ثم قد تضمنت أحكاما نهائية في العلاقات بين الأمة المسلمة وسائر الأمم في الأرض؛ كما تضمنت تصنيف المجتمع المسلم ذاته، وتحديد قيمه ومقاماته، وأوضاع كل طائفة فيه وكل طبقة من طبقاته، ووصف واقع هذا المجتمع بجملته وواقع كل طائفة منه وكل طبقة وصفا دقيقا مصورا مبينا .

والسورة – بهذا الاعتبار – ذات أهمية خاصة في بيان طبيعة المنهج الحركي للإسلام ومراحله وخطواته – حين تراجع الأحكام النهائية التي تضمنتها مع الأحكام المرحلية التي جاءت في السور قبلها – وهذه المراجعة تكشف عن مدى مرونة ذلك المنهج وعن مدى حسمه كذلك. وبدون هذه المراجعة تختلط الصور والأحكام والقواعد، كما يقع كلما انتزعت الآيات التي تتضمن أحكاما مرحلية فجعلت نهائية؛ ثم أريد للآيات التي تتضمن الأحكام النهائية أن تفسر وتؤول لتطابق تلك الأحكام المرحلية؛ وبخاصة في موضوع الجهاد الإسلامي، وعلاقات المجتمع المسلم بالمجتمعات الأخرى[1].

ذكر سيد قطب في سورة التوبة أيضاً: (وحين نراجع السور المدنية– بترتيب النزول التقريبي– فإننا نطلع على الجهد الكبير الذي بذل في عملية الصهر الجديدة المستمرة للعناصر المتنوعة في المجتمع المسلم؛ وبخاصة أن هذه العناصر ظلت تتوارد على هذا المجتمع – على الرغم من وقفة قريش العنيدة وتأليبها لكل قبائل الجزيرة؛ ومن وقفة اليهود البشعة وتأليبهم كذلك للعناصر المعادية للدين الجديد والتجمع الجديد – وظلت الحاجة مستمرة لعمليات الصهر والتنسيق بصورة دائمة لا تفتر ولا تغفل لحظة)[2].

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1691/11.

[2]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1704/11.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

قال سيد قطب: (ثم جاءت الأنفال والتوبة بجوهما وطبيعتهما وموضوعاتهما المدنية الخاصة – فالآن إذ نعود إلى القرآن المكي نجد سورتي يونس وهود متواليتين في ترتيب المصحف وفي ترتيب النزول أيضا . والعجيب أن هناك شبها كبيرا بين هاتين السورتين وتلكما في الموضوع، وفي طريقة عرض هذا الموضوع كذلك!)[1].

ويذكر سيد قطب في سورة هود: (لقد نزلت السورة بجملتها بعد يونس. ونزلت يونس بعد الإسراء. وهذا يحدد معالم الفترة التي نزلت فيها؛ وهي من أحرج الفترات وأشقها كما قلنا في تاريخ الدعوة بمكة. فقد سبقها موت أبي طالب وخديجة؛ وجرأة المشركين على ما لم يكونوا ليجرؤوا عليه في حياة أبي طالب – وخاصة بعد حادث الإسراء وغرابته، واستهزاء المشركين به، وارتداد بعض من كانوا أسلموا قبله – مع وحشة رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة – رضي الله عنها – في الوقت الذي تجرأت فيه قريش عليه وعلى دعوته؛ وبلغت الحرب المعلنة عليه وعلى دعوته أقسى وأقصى مداها؛ وتجمدت حركة الدعوة حتى ما كاد يدخل في الإسلام أحد من مكة وما حولها... وذلك قبيل أن يفتح الله على رسوله وعلى القلة المسلمة معه ببيعة العقبة الأولى ثم الثانية...)[2].

ومن ذلك توظيفه لقاعدة "تتبع مراحل التنزيل[3]".

وإعماله للقاعدة ظاهر في هذه الآية؛ وذلك أنه تتبع مراحل تنزيل السور وأورد سبب نزولها .

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1745/11.

[2]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1840/12.

[3]– الميداني، حسن حبنكه، قواعد التدبر الأمثل، 151.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

–حول بيئة نزول النص "البشرية والزمانية والمكانية والنفسية والفكرية الفردية والاجتماعية":

يذكر سيد قطب بأن المتتبع للقرآن المكي كله يجد أن هناك خطا أصيلا ثابتا عريضا عميقا، هو الذي ترتكز عليه؛ وهو المحور الذي تدور حوله؛ وإليه ترجع سائر خطوطها، وإليه تشد جميع خيوطها كذلك... إنه خط العقيدة الذي يرتكز إليه هذا الدين كله... وإنه محور العقيدة الذي يدور عليه هذا المنهج الرباني لحياة البشرية جملة وتفصيلا...[1].

وفي سورة يوسف يقول سيد قطب: (والسورة أي سورة يوسف كلها لحمة واحدة عليها الطابع المكي واضحا في موضوعها وفي جوها وفي ظلالها وفي إيحاءاتها . بل إن عليها طابع هذه الفترة الحرجة الموحشة بصفة خاصة... ففي الوقت الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعاني من الوحشة والغربة والانقطاع في جاهلية قريش – منذ عام الحزن – وتعاني معه الجماعة المسلمة هذه الشدة، كان الله – سبحانه – يقص على نبيه الكريم قصة أخ له كريم – يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم – عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين – وهو يعاني صنوفا من المحن والابتلاءات)[2].

أن بيئة العهد المكي كانت الآيات تتنزل فيها على أسلوب المنتقيات المحفوظات المتداولات من كلام بلغاء العرب وفصحائهم وخطبائهم، والسائر من أمثالهم، ويكون توجيه الخطاب في العهد المكي لحد طغاة ائمة الشرك الذين وصلوا إلى مستوى المواجهة

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1934/12–1935.

[2]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1950/12.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

الصريحة بمعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن والمسلمين. أما أسلوب العهد المدني فهو يراعي طرائق تفكير البيئة المدنية التي فيها ثلاث قبائل من أهل الكتاب[1].

ومن ذلك توظيفه لقاعدة "بيئة نزول النص"[2].

وإعماله للقاعدة ظاهر؛ وذلك أنه عين بيئة العهد المكي والمدني.

–حول الحكمة من وضع آيات مدنية التنزيل في سور مكية ووضع آيات مكية التنزيل في سورة مدنية:

قال تعالى: (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ* لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [التوبة: 127–128].

وتختم السورة بآيتين ورد أنهما مكيتان، وورد أنهما مدنيتان. ونحن نأخذ بهذا الأخير، ونلمح مناسبتهما في مواضع متفرقة في هذا الدرس وفي جو السورة على العموم. آيتين تتحدث إحداهما عن الصلة بين الرسول وقومه، وعن حرصه عليهم ورحمته بهم. ومناسبتها حاضرة في التكاليف التي كلفتها الأمة المؤمنة في مناصرة الرسول ودعوته وقتال أعدائه واحتمال العسرة والضيق. والآية الثانية توجيه لهذا الرسول أن يعتمد على ربه وحده حين يتولى عنه من يتولى، فهو وليه وناصره وكافيه[3].

المطلب الثاني: القواعد المتعلقة بالسياق القرآني:

سيد قطب من أبرز المفسرين الذي جعل السياق عمدة التفسير، وقد اعتمده في بيان السياق العام للسورة الذي يمثل غرض السورة ومحورها الأساس .

[1]– الميداني، حسن حبنكه، قواعد التدبر الأمثل، 53–56

[2]– الميداني، حسن حبنكه، قواعد التدبر الأمثل، 53–56

[3]– الميداني، حسن حبنكه، قواعد التدبر الأمثل، 185، قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1742/11.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

لقد درج عن سيد قطب في تفسيره مراعاة السياق القرآني عند تفسيره الآية، وذلك لأن دلالة السياق متفق عليها في مجرى كلام الله سبحانه وتعالى ويقرر بنفسه قائلاً: "إن كل سورة من سور القرآن ذات شخصية متفردة، وذات ملامح متميزة، وذات منهج خاص، وذات أسلوب معين، وذات مجال متخصص في علاج هذا الموضوع الواحد، وهذه القضية الكبرى، إنما كلها تتجمع على الموضوع والغاية"[1]

وقد اعتمده سيد قطب كثيراً في تفسيره، وهو إعمال منه للقاعدة المشهورة "إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم به "[2]

ومثال ذلك:

قال تعالى: (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) [التوبة: 98].

وهنا يعاجلهم السياق بدعاء من اللّه – سبحانه – عليهم؛ ودعاء اللّه معناه وقوع مدلول الدعاء عليهم كأن للسوء دائرة تطبق عليهم فلا تفلتهم؛ وتدور عليهم فلا تدعهم. وذلك من باب تجسيم المعنوي وتخييله، الذي يعمق وقع المعنى ويحييه.

لذلك يبادر السياق فيقرر لهم أنها قربى مقبولة عند اللّه[3] قال تعالى: (وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [التوبة: 99].

وينظر أمثلة ذلك أيضاً: في سورة التوبة الآيات (94، 96، 113، 114، 120، 124–127) وغيرها كثير، وإنما أحببت الإشارة دون التقصي[1].

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1243/3.

[2]– الحربي، حسين بن علي، قواعد الترجيح عند المفسرين، 125/1.

[3]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1701/11.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

يقول سيد قطب في قوله تعالى: ((وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) [يونس: 11–14] بعد ذلك يواجه السياق القرآني تحديهم لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم وطلبهم تعجيل العذاب الذي يتوعدهم به؛ ببيان أن تأجيله إلى أجل مسمى هو حكمة من اللّه ورحمة. ويرسم لهم مشهدهم حين يصيبهم الضر فعلا، فتتعرى فطرتهم من الركام وتتجه إلى خالقها. فإذا ارتفع الضر عاد المسرفون إلى ما كانوا فيه من غفلة. ويذكرهم مصارع الغابرين الذين استخلفوا هم من بعدهم؛ ويلوح لهم بمثل هذا المصير؛ ويبين لهم أن الحياة الدنيا إنما هي للابتلاء وبعدها الجزاء ...)[2].

يشير سيد قطب إلى تحول السياق من خطابهم إلى عرض نماذج من أعمالهم بعد استخلافهم. لقد استخلفوا بعد القوم المجرمين . فماذا فعلوا؟[3] قال تعالى: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1695/11، 1696، 1714، 1715، 1727، 1733، 1742.
[2]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1768/11.
[3]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1770/11–1771.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

أَفَلا تَعْقِلُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ) [يونس: 15–17].

ويذكر سيد قطب كيف صور السياق متاع الحياة الدنيا: وما قيمة (متاع الحياة الدنيا) هذا وما حقيقته؟ يصور السياق هذه الحقيقة في مشهد من مشاهد القرآن التصويرية الحافلة بالحركة والحياة، وهي مع ذلك من المشاهدات التي تقع في كل يوم، ويمر عليها الأحياء دون انتباه[1] قال تعالى: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [يونس: 24].

ويقول سيد قطب تفريعاً على هذا التعقيب: (يأخذ بهم السياق في جولة جديدة حول القرآن تبدأ بنفي التصور لإمكان أن يكون القرآن مفترى من دون الله، وتحديهم أن يأتوا بسورة مثله. وتثني بوصمهم بالتسرع في الحكم على ما لم يعلموه يقينا أو يحققوه. وتثلث بإثبات حالتهم في مواجهة هذا القرآن، وتثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم على خطته أيا كانت استجابتهم أو عدم استجابتهم له، وتنتهي بالتيئيس من الفريق الضال والإيماء إلى مصيرهم الذي لا يظلمهم الله فيه؛ وإنما يستحقونه بما هم فيه من ضلال)[2]، قال تعالى: (وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

[1] – قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1175/11.

[2] – قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1784/11.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

الظَّالِمِينَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ * وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ * إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [يونس37–44].

وفي قوله تعالى: (وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [يونس: 105].

وهنا يتحول السياق من الحكاية إلى الأمر المباشر، كأن الرسول صلى الله عليه وسلم يتلقاه في مشهد حاضر للجميع . وهذا أقوى وأعمق تأثيراً. (أقم وجهك للدين حنيفاً) متوجهاً إليه خالصاً له، موقوفاً عليه(ولا تكونن من المشركين) زيادة في توكيد معنى الاستقامة للدين، ولمعنى أن يكون من المؤمنين، عن طريق النهي المباشر عن الشرك بعد الأمر المباشر بالإيمان[1].

وينظر أمثلة ذلك أيضاً: في سورة يونس الآيات (54، 50، 43، 42، 39، 27، 23، 21، 18، 12، 5، 1، 59–60، 61–67، 74، 93، 101، 103)وغيرها كثير، وإنما أحببت الإشارة دون التقصي[2].

والآية 114 في سورة هود يذكر سيد قطب أنها واردة في سياق تسرية عن الرسول صلى الله عليه وسلم بما كان من الاختلاف على موسى من قبل. وتوجيهه

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1825/11.

[2]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 11/ 1749، 1753، 1758، 1765، 1769، 1772، 1773، 1779، 1789، 1794، 1795، 1797، 1798، 1801، 1803، 1810، 1812، 1813، 1818، 1824.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

للاستقامة كما أمر هو ومن تاب معه، وعدم الركون إلى الذين ظلموا [أي أشركوا] والاستعانة بالصلاة وبالصبر على مواجهة تلك الفترة العصيبة.. وتتوارد الآيات هكذا، قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ * وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ * وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ * وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) [هود: 110–115].. وواضح أن الآية قطعة من السياق المكي، موضوعا وجوا وعبارة...[1]

وفي قوله تعالى: (إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ)[هود: 107] وزاد السياق في حالة الذين سعدوا ما يطمئنهم إلى أن مشيئة الله اقتضت أن يكون عطاؤه لهم غير مقطوع، حتى على فرض تبديل إقامتهم في الجنة . وهو مطلق فرض يذكر لتقرير حرية المشيئة بعدما يوهم التقييد[2].

وينظر أمثلة ذلك أيضاً: في سورة هود الآيات(6، 18–24، 36–37، 48، 52، 69، 76، 82، 96، 121–123)وغيرها كثير، وإنما أحببت الإشارة دون التقصي[3].

أما سورة يوسف فيذكر سيد قطب: إن الآية السابعة السياق لا يستقيم بدونها أصلا؛ ولا يتأتى أن تكون السورة قد نزلت في مكة وهي ليست من سياقها ثم أضيفت

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1840/12.

[2]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1929/12.

[3]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 12/ 1846، 1847، 1848، 1855، 1857، 1863، 1866، 1876، 1897، 1911، 1913، 1915، 1924، 1927، 1928، 1932.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

إليها في المدينة ! ذلك أن في الآية الثامنة ضميرا يعود على يوسف وإخوته في هذه الآية السابعة، بحيث لا يستقيم نزول الآية الثامنة دون أن تكون معها الآية السابقة[1] وهذا قوله تعالى فيها: (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [يوسف: 7–8].

ويقول سيد قطب: (إلى جانب الحقائق الكبرى التي تتقرر من خلال سياق القصة، ثم من خلال سياق السورة كلها بعد ذلك . والقصة مقسمة إلى حلقات . كل حلقة تحتوي جملة مشاهد . والسياق يترك فجوات بين المشهد والمشهد يملؤها تخيل القاريء وتصوره، ويكمل ما حذف من حركات وأقوال، مع ما في هذا من تشويق ومتاع ...)[2]

في قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) [يوسف: 7–10].

يقول سيد قطب: (ترى حدثهم يوسف عن رؤياه كما يقول كتاب "العهد القديم" ؟ إن السياق هنا يفيد أن لا. فهم يتحدثون عن إيثار يعقوب ليوسف وأخيه عليهم .أخيه الشقيق)[3].

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 12/ 1950.

[2]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 12/ 1962–1963، انظر ايضاً: 1966/12.

[3]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 12/ 1962–1963، انظر ايضاً: 1973/12.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

ويشير سيد قطب: وهنا يقف السياق لينبه إي أن هذا التدبير من الله، وبه وبمثله قدر ليوسف التمكين في الأرض – وها قد بدأت بشائره بتمكين يوسف في قلب الرجل وبيته – ويشير إلى أنه ماض في الطريق ليعلمه الله من تأويل الأحاديث، ويعقب السياق على هذا الابتداء في تمكين يوسف بما يدل عليه من أن قدرة الله غالبة، لا تقف في طريقها قوة، وأنه مالك أمره ومسيطر عليه فلا يخيب ولا يتوقف ولا يضل[1]، قال تعالى: (كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ) [يوسف: 21].

ويشير أيضاً: ويكشف السياق عن مشهد من صنع تلك المرأة الجريئة، التي تعرف كيف تواجه نساء طبقتها بمكر كمكرهن وكيد من كيدهن[2]، قال تعالى: (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ) [يوسف: 31–32].

وفي قوله تعالى: (فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) [يوسف: 42] وهنا يسقط السياق أن التأويل قد تحقق، وأن الأمر قد قضي على ما أوله يوسف. ويترك هنا فجوة، نعرف منها أن هذا كله قد كان . ولكن الذي ظن يوسف أنه ناج فنجا فعلا لم ينفذ الوصية، ذلك أنه نسي الدرس الذي لقنه له يوسف، ونسي ذكر ربه في زحمة حياة القصر وملهياتها وقد عاد إليها، فنسي يوسف وأمره كله...[3]

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 12/ 1978.

[2]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 12/ 1984.

[3]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 12/ 1992.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

وينظر أمثلة ذلك أيضاً: في سورة يوسف الآيات (24، 26–27، 33، 36، 50، 52) وغيرها كثير، وإنما أحببت الإشارة دون التقصي[1].

كل ذلك يحقق القاعدة: "حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك"[2].

المطلب الثالث: القواعد المتعلقة بالنظر في توجيه الخطاب الرباني[3]:

كقوله تعالى: (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) [التوبة: 129].

ثم ينتقل الخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يعرفه طريقه حين يتولى عنه من يتولى، ويصله بالقوة التي تحميه وتكفيه.

ويقول سيد قطب: ومن ثم يكثر خطاب الفطرة البشرية – في القرآن – بهذه اللغة المفهومة... وهذه نماذج من هذا الخطاب العميق الموحى[4]: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ) [يونس: 3].

ويذكر سيد قطب التعقيب على التقرير من مواقفهم من هذا الكتاب بتوجيه الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم بألا يتأثر بتكذيب المكذبين، وأن ينفض يديه منهم. ويعلنهم ببراءته من عملهم، ويفاصلهم على ما معه من الحق في وضوح وفي حسم

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 12/ 1981، 1982، 1985، 1987، 1988، 1994، 1995.

[2]– الحربي، حسين بن علي، قواعد الترجيح عند المفسرين، 172/1.

[3]– الميداني، حسن حبنكه، قواعد التدبر الأمثل، 611.

[4]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1749/11، 1743.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

وفي يقين[1]، قوله تعالى: (وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) [يونس: 41].

ففي قوله تعالى: (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) [يونس: 94].

بعد ذلك يجيء التعقيب على هذه الخاتمة لقصة موسى وقصة نوح من قبلها، يبدأ خطاباً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم تثبيتاً بما حدث للرسل قبله، وبياناً لعلة تكذيب قومه له، أن ليس ما ينقصهم هو الآيات والبينات، إنما هي سنة اللّه في المكذبين من قبلهم، وسنة اللّه في خلق الإنسان باستعداداته للخير والشر والهدى والضلال... لقد كان آخر الحديث عن بني إسرائيل، وهم من أهل الكتاب، وهم يعرفون قصة نوح مع قومه وقصة موسى مع فرعون، يقرأونها في كتابهم . فهنا يتوجه الخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم إن كان في شك مما أنزل إليه، من هذا القصص أو غيره، فليسأل الذين يقرأون الكتاب من قبله . فلديهم عنه علم، مما يقرأون[2].

وفي قوله تعالى: (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)[يونس: 107].

هذه خلاصة العقيدة كلها، مما تضمنته السورة، يكلف الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعلنهما للناس، ويوجه إليه الخطاب بها كأنما على مشهد منهم. وهم هم المقصودون بها. إنما هو أسلوب من التوجيه الموحى المؤثر في النفوس. ويقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بها في وجه القوة والكثرة؛ ووجه الرواسب الجاهلية، ووجه التاريخ

[1] – قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1794/11.

[2] – قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1819/11

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

الموغل بالمشركين في الشرك... يعلنها في قوة وفي صراحة وهو في عدد قليل من المؤمنين في مكة، والقوة الظاهرة كلها للمشركين...[1].

وفي قوله تعالى: (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) [يونس: 109] والختام خطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع ما أمر به، والصبر على ما يلقاه حتى يحكم الله بما قدره وقضاه[2].

أيضاً يذكر سيد قطب: والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والتحذير لقومه. وهذا الأسلوب أفعل في النفس أحيانا، لأنه يوحي بأنها قضية موضوعية يبينها الله لرسوله، وليست جدالا مع أحد، ولا خطابا للمتلبسين بها، إهمالا لهم وقلة انشغال بهم! وعندئذ يكون لتلك الحقيقة الخالصة المجردة أثرها في اهتمامهم أكثر مما لو خوطبوا بها خطابا مباشرا...[3] في قوله تعالى: (فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ) [هود: 109].

ويقول: (والخاتمة الأخيرة. خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم عن حكمة سوق القصص إليه في خاصة نفسه للمؤمنين. فأما الذين لا يؤمنون فليلق إليهم كلمته الأخيرة، وليفاصلهم مفاصلة حاسمة، وليخل بينهم وبين ما ينتظرهم في غيب الله. ثم ليعبد الله وليتوكل عليه، ويدع القوم لما يعملون..)[4] في قوله تعالى: (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ*وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ*وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ*وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1826/11.

[2]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1826/11.

[3]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1930/12.

[4]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1933/12–1934.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [هود: 120–123].

المبحث الثالث: طريقة سيد قطب في توظيف القواعد المتعلقة بتفسير القرآن بالقرآن وبالسنة وبالآثار:

المطلب الأول: القواعد المتعلقة بتفسير القرآن بالقرآن:

يرد ما يحوي الآيات من الترغيب والترهيب بذكر ما ورد من ترغيب وترهيب من آيات أخرى مفسرات، فيأخذ بنص الآية دون اللجوء إلى التأويل:

فيقول سيد قطب: (يحتوي الكثير من الترغيب والترهيب... الترغيب في خير الدنيا والآخرة لمن يستجيب لداعي الدينونة لله وحده بلا شريك، وما تحمله للبشرية من خير وصلاح ونماء... والترهيب بالحرمان من خير الدنيا أو الآخرة؛ وبالعذاب في الدنيا أو في الآخرة لمن يعرضون عن هذا الداعي، ويسلكون طريق الطواغيت حيث يسلمونهم في الآخرة إلى جهنم، التي يقودون لها أتباعهم في الآخرة جزاء ما استسلم لقيادتهم هؤلاء الأتباع في الدنيا؛ ورضوا بالدينونة لهم دون الدينونة لله تعالى)[1]. وهذه نماذج من الترهيب والترغيب:

قال تعالى: (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ * إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [هود: 2–4].

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 12/1846–1847.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

قال تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [هود: 15–16].

قال تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا أَفَلا تَذَكَّرُونَ) [هود: 17–24] .

قال تعالى: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) [هود: 53] . . . (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) [هود: 57].

وقال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ * وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ) [هود: 96–99].

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

ويحتوي السياق ذلك القصص الطويل الذي يصدق ذلك الترغيب والترهيب في حركة العقيدة على مدار التاريخ؛ من مصارع المكذبين ونجاة المؤمنين، ويبرز مشهد الطوفان بصفة خاصة؛ ويبلغ نبض السورة أعلى مستواه في ثنايا هذا المشهد الكوني الفريد[1]. ومن ذلك توظيفه لقاعدة "أسلوب الترغيب والترهيب في القرآن الكريم".

المطلب الثاني: القواعد المتعلقة بتفسير القرآن بالسنة:

مما وقفت عليه طريقته في توظيف القواعد المتعلقة بتفسير القرآن بالسنة:

قال في معرض إيراده للروايات المفسرة لمعنى المتقين من قوله: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ) [التوبة: 111]: "رواه الإمام أحمد، وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي" من مات و لم يغز، و لم يحدث نفسه بغزو، مات على شعبة من النفاق"[2].

وعند قوله تعالى: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [التوبة: 117–118].

أخرج أحمد والبخاري ومسلم من طريق الزهري قال أخبرني عبد الرحمن بن عبد اللّه بن كعب بن مالك أن عبد اللّه بن كعب بن مالك – وكان قائد كعب من بنيه حين عمي – قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، قال كعب: لم أتخلف عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم

[1] – قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1846/12–1847.

[2] – قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1717/11.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك، غير أني تخلفت في غزوة بدر و لم يعاتب أحد تخلف عنها، إنما خرج رسول اللّه صلى الله عليه وسلم المسلمون يريدون عير قريش حتى جمع اللّه بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد"[1].

وقوله تعالى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [التوبة: 123].

عن بريدة – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر الأمير على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: " اغزوا باسم الله، في سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا. فإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خلال، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ادعهم إلى الإسلام. فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما عليهم، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم من الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. وإن هم أبوا فسلهم الجزية. فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. فإن أبوا فاستعن بالله تعالى عليهم وقاتلهم ... "... [أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي].

وعن ابن عمر –رضي الله عنهما –قال: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان. [أخرجه الشيخان][2].

[1] – قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1727/11

[2] – قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1740/11

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

وهذا توظيف لقاعدة "إذا عرف التفسير من جهة النبي صلى الله عليه وسلم فلا حاجة إلى قول من بعده"[1].

المطلب الثالث: القواعد المتعلقة بتفسير القرآن بالآثار:

ينظر سيد قطب في التفسير المأثور لمعنى النص القرآني، فهو حري أن يكون في كثير من الأحيان فهماً صحيحاً، وإن لم يكن كاملاً شاملاً لكل ما يهدف إليه النص القرآني. ويشمل التفسير المأثور ما فهمه الصحابة والتابعون.

أما البيان النبوي لمعنى النص القرآني، فإذا صح فهو الذي يجب المصير إليه، وقد يكون البيان النبوي بعض ما اشتمل عليه عموم النص، أو بعض ما اشتملت عليه دلالاته، فيكون ما جاء في البيان أحد المعاني التي اشتملت عليها دلالاته.

ذكر ذلك: وقد وردت روايات كثيرة عن جفوة الأعراب... ومما أورده ابن كثير في التفسير... وكثير من الروايات يكشف عن طابع الجفوة والفظاظة في نفوس الأعراب حتى بعد الإسلام[2]. وينظر أمثلة ذلك أيضاً[3].

وهذا توظيف لقاعدة: "فهم السلف للقرآن حجة يحتكم إليه لا عليه"[4].

المبحث الرابع: طريقة سيد قطب في توظيف قواعد التفسير المتعلقة باللغة:

المطلب الأول: القواعد المتعلقة باستعمال العرب للألفاظ والمباني:

---

[2]– انظر: السبت، عثمان، قواعد التفسير، 1 / 149؛ والحربي، حسين بن علي، قواعد الترجيح 1 / 191 .

[2]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1699/11، 1700.

[3]– انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1706/11، 1707، 1709، 1724، 1734.

[4]– انظر: السبت، خالد بن عثمان، قواعد التفسير، 1 / 206؛ والحربي، حسين بن علي، قواعد الترجيح، 1 / 271.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

مثال ذلك ما جاء تحت قوله تعالى: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [التوبة: 104].

وهو استفهام تقريري يفيد: فليعلموا أن اللّه هو يقبل التوبة؛ واللّه هو يأخذ الصدقة، واللّه هو يتوب ويرحم عباده ... وليس شيء من هذا لأحد غيره سبحانه... "وأن نبي اللّه حين أبي أن يطلق من ربط نفسه بالسواري من المتخلفين عن الغزو معه؛ وحين ترك قبول صدقتهم بعد أن أطلق اللّه عنهم حين أذن له في ذلك، إنما فعل ذلك من أجل أن ذلك لم يكن إليه صلى الله عليه وسلم وأن ذلك إلى اللّه تعالى ذكره دون محمد. وان محمداً إنما يفعل ما يفعل من ترك وإطلاق وأخذ صدقة وغير ذلك من أفعاله بأمر اللّه"...كما يقول ابن جرير...

وهذا إشارة منه إلى قاعدة: "إذا وقعت النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام دلت على العموم"[1].

انظر من ذلك أيضاً: سورة يونس، آية 101.[2]

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ) [التوبة: 116].

فالأموال والأنفس، والسماوات والأرض، والحياة والموت، والولاية والنصرة .. كلها بيد اللّه دون سواه. وفي الصلة باللّه وحده كفاية وغناء.

وهذه التوكيدات المتوالية، وهذا الحسم القاطع في علاقات القرابة تدل على ما كان يعتور بعض النفوس من اضطراب وأرجحه بين الروابط السائدة في البيئة، ورابطة العقيدة الجديدة . مما اقتضى هذا الحسم الأخير، في السورة التي تتولى الحسم في كل

[1] – السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، القواعد الحسان لتفسير القرآن، 16.

[2] – انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1822/11.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

علاقات المجتمع المسلم بما حوله... حتى الاستغفار للموتى على الشرك قد لقي هذا التشديد في شأنه ذلك لتخلص القلوب من كل وشيجة إلا تلك الوشيجة[1].

وهذا إشارة منه إلى قاعدة: "كلما عظم الاهتمام كثر التوكيد"[2].

وقال تعالى: (لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [يونس: 37].

تقرير وتوكيد لنفي جواز افترائه عن طريق إثبات مصدره: (من رب العالمين)...[3]. انظر من ذلك أيضاً: سورة يونس، آية 3، 94 سورة هود آية: 112.[4]

قال تعالى: (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ) [يونس:2].

سؤال استنكاري. يستنكر هذا العجب الذي تلقى به الناس حقيقة الوحي منذ كانت الرسل[5].

انظر من ذلك أيضاً: سورة يوسف، آية 12.[6]

قال تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) [يونس: 3].

و(ثم) هنا ليست للتراخي الزماني، إنما هي للبعد المعنوي. فالزمان في هذا المقام لا ظل له. وليست هناك حالة ولا هيئة لم تكن لله – سبحانه – ثم كانت . فهو – سبحانه

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1722/11.

[2]– السبت، خالد عثمان، قواعد التفسير، 492/1.

[3]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1785/11.

[4]– انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1764/11، 12/ 1820، 1931.

[5]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1759/11.

[6]– انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1974/12–1975.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

– منزه عن الحدوث وما يتعلق به من الزمان والمكان. لذلك نجزم بأن (ثم) هنا للبعد المعنوي، ونحن آمنون من أننا لم نتجاوز المنطقة المأمونة التي يحق فيها للعقل البشري أن يحكم ويجزم. لأننا نستند إلى قاعدة كلية في تنزيه الله سبحانه عن تعاقب الهيئات والحالات، وعن مقتضيات الزمان والمكان[1].

قال تعالى: (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) [يونس: 45].

هذا مجرد تشبيه لهذه الحياة الدنيا، وللناس الذين دخلوا ثم خرجوا، كأن لم يفعلوا شيئاً سوى اللقاء والتعارف؟

إنه لتشبيه، ولكنه حق اليقين وإلا فهل ينتهي البشر في هذه الأرض من عملية التعارف؟ إنهم يجيئون ويذهبون وما يكاد أحدهم ينتهي من التعرف إلى الآخرين، وما تكاد الجماعة فيهم تنتهي من التعرف إلى الجماعات الأخرى ثم يذهبون[2].

قال تعالى: (وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ) [يونس: 60].

وصيغة الغائب تشمل جنس الذين يفترون على اللّه الكذب وتنتظمهم جميعاً.. فما ظنهم يا ترى؟ ما الذي يتصورون أن يكون في شأنهم يوم القيامة !! وهو سؤال تذوب أمامه حتى الجبلات الصلدة الجاسية![3].

هذا إشارة لقاعدة: "أسلوب القرآن الكريم في استخدامه صيغة الغائب".

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1762/11.

[2]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1795/11.

[3]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1802/11.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

وقوله تعالى: (أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ) [يونس: 60].

وهذه حكمة ذكر (من) هنا لا "ما" لأن المقصود إثبات أن الأقوياء كالضعفاء كلهم في ملك يده سواء. فالسياق جار فيها مجراه[1] .

هذا إشارة لقاعدة: "الاهتمام باللغة وذكر الإعراب".

وقال تعالى: (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [هود:1].

يقول سيد قطب: (ألف . لام . راء: مبتدأ، خبره: (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) ... وهذا الكتاب المؤلف من مثل هذه الأحرف هو الذي يكذبون به . وهم عن شيء من مثله عاجزون!

(كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) . .

أحكمت آياته، فجاءت قوية البناء، دقيقة الدلالة، كل كلمة فيها وكل عبارة مقصودة، وكل معنى فيها وكل توجيه مطلوب، وكل إيماءة وكل إشارة ذات هدف معلوم . متناسقة لا اختلاف بينها ولا تضارب، ومنسقة ذات نظام واحد. ثم فصلت. فهي مقسمة وفق أغراضها، مبوبة وفق موضوعاتها، وكل منها له حيز بمقدار ما يقتضيه.

أما من أحكمها، ومن فصلها على هذا النحو الدقيق؟ فهو الله سبحانه، وليس هو الرسول: (من لدن حكيم خبير) . .

يحكم الكتاب عن حكمة، ويفصله عن خبرة.... هكذا جاءت من لدنه، على النحو الذي أنزل على الرسول، لا تغيير فيها ولا تبديل)[2].

[1] – قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1804/11.

[2] – قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1851/12.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

وقال تعالى: (أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ) [هود:26].

واليوم ليس أليما . إنما هو مؤلم. والأليم – اسم مفعول أصله: مألوم ! – إنما هم المألومون في ذلك اليوم . ولكن التعبير يختار هذه الصيغة هنا، لتصوير اليوم ذاته بأنه محمل بالألم، شاعر به، فما بال من فيه؟[1].

وقوله تعالى: (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ) [هود: 38].

والتعبير بالمضارع. فعل الحاضر.. هو الذي يعطي المشهد حيويته وجدته. فنحن نراه ماثلا لخيالنا من وراء هذا التعبير. يصنع الفلك[2].

هذا تحقيق لقاعدة: "الإعراب فرع المعنى".

وقال تعالى: (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) [هود: 12].

ولعل هنا تحمل معنى الاستفهام. وهو ليس استفهاما خالصا، إنما يتلبس به أن المتوقع من النفس البشرية أن تضيق صدرا بهذا الجهل، وبهذا التعنت، وبهذه الاقتراحات السخيفة التي تكشف عن بعد كامل عن إدراك طبيعة الرسالة ووظيفتها. فهل سيضيق صدرك – يا محمد – وهل سيحملك هذا الضيق على أن تترك بعض ما أنزل إليك فلا تبلغه لهم، كي لا يقابلوه بما اعتادوا أن يقابلوا به نظائره فيما أخبرهم من قبل؟[3].

قال تعالى: (وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ) [هود: 60].

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1871/12.

[2]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1877/12.

[3]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1860/12.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

بل تبديل وتغيير في مدلول لفظ "العبادة" التي يدخل بها المسلم في الإسلام أو يخرج منه – وهذا المدلول هو الدينونة الكاملة لله في كل شأن ورفض الدينونة لغير الله في كل شأن . وهو المدلول الذي تفيده اللفظة في أصل اللغة، والذي نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم نصا وهو يفسر قول الله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)... وليس بعد تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم لمصطلح من المصطلحات قول لقائل[1].

وقال تعالى: (إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) [هود: 61].

والإضافة في (ربي) ولفظ (قريب) ولفظ (مجيب) واجتماعها وتجاورها... ترسم صورة لحقيقة الألوهية كما تتجلى في قلب من قلوب الصفوة المختارة، وتخلع على الجو أنسا واتصالا ومودة، تنتقل من قلب النبي الصالح إلى قلوب مستمعيه لو كانت لهم قلوب! [2]. هذه القاعدة قد اشار إليها سيد قطب: "المدلول اللفظة الذي يفيد في أصل اللغة".

المطلب الثاني: القواعد المتعلقة بالضمائر:

قال سيد قطب: "فالإيمان إذن متروك للاختيار. لا يكره الرسول عليه أحـــداً.

لأنه لا مجال للإكراه في مشاعر القلب وتوجهات الضمير: قال تعالى: (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) [يونس: 99] [3].

ويقصد سيد قطب قاعدة "ضمير الغائب قد يعود على غير ملفوظ به كالذي يفسره سياق الكلام"[1]

[1]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1902/12.

[2]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1907/12.

[3]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1821/12

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

ويشير أيضاً سيد قطب إلى قاعدة عود الضمير، في قوله تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ) [هود: 17].

وردت روايات شتى فيما هو المقصود بقوله تعالى: (أفمن كان على بينة من ربه)... وفي قوله تعالى: (ويتلوه شاهد منه). وفي عائد هذه الضمائر في: (ربه) وفي (يتلوه) وفي (منه)... وأرجحها – كما يبدو لي – هو أن المقصود بقوله تعالى: (أفمن كان على بينة من ربه) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالتبعية له كل من يؤمن بما جاء به – وأن المقصود بقوله تعالى: (ويتلوه شاهد منه) أي ويتبعه شاهد من ربه على نبوته ورسالته. وهو هذا القرآن الذي يشهد بذاته أنه وحي من الله لا يقدر عليه بشر. (ومن قبله)– أي من قبل هذا الشاهد وهو القرآن؛ "كتاب موسى" يشهد كذلك بصدق النبي صلى الله عليه وسلم سواء بما تضمنه من البشارة به؛ أو بموافقة أصله لما جاء به محمد من بعده[2].

وقول أيضاً: وقد وجد بعض المفسرين إشكالا في قوله تعالى: (أولئك يؤمنون به) إذا كان المقصود بقوله تعالى: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) هو شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أسلفنا... فإن أولئك " تعني جماعة يؤمنون بهذا الوحي وبتلك البينة.. ولا إشكال هناك. فالضمير في قوله تعالى (أولئك يؤمنون به) يعود على "شاهد" وهو القرآن. وكذلك الضمير في قوله تعالى (ومن قبله) فإنه يعود على القرآن كما أسلفنا... فلا إشكال في أن يقول: (أولئك يؤمنون به)– أي بهذا

[2]– السبت، خالد عثمان، قواعد التفسير 1/ 410 .

[2]– قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1864/12.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

الشاهد أي بهذا القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من آمن بما أنزل إليه، ثم تبعه المؤمنون: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون. كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله...)كما جاء في آية البقرة... والآية هنا تشير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدمج معه المؤمنين الذين آمنوا بما آمن به هو وبلغهم إياه... وهو أمر مألوف في التعبير القرآني، ولا إشكال فيه[1].

وفي قوله تعالى: (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) [يوسف: 42].

والضمير الأخير في لبث عائد على يوسف . وقد شاء ربه أن يعلمه كيف يقطع الأسباب كلها ويستمسك بسببه وحده، فلم يجعل قضاء حاجته على يد عبد ولا سبب يرتبط بعبد . وكان هذا من اصطفائه وإكرامه[2].

الخاتمـــة:

وبعد هذه الجولة في رحاب القرآن وتفسير سيد قطب، ولم يبق لي إلا أن أذيله ببعض النتائج:

– السمة البارزة في تفسير سيد قطب فهو ينفرد بمزايا خاصة وهي اهتمامه بالسياق القرآني، ومقدمات السور وتلخيص موضوعاتها ومضمون كل منها تحليلا، مع إبراز طابع كل سورة وشخصيتها وظلها الخاص بها، وحكمة ترتيب آياتها ومقاطعها، والإيقاع الموسيقي لتلك المقاطع وتغيير القافية بحسب السياق ودوره في التبشير أو النذير والوعد أو الوعيد ومظاهر التصوير الفني في القرآن، والبلاغة والإعجاز، مع توظيف

[1] – قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1865/12.

[2] – قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1992/12.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمتشابه والمحكم وشتى علوم القرآن، والحقائق العلمية الحديثة والتاريخية التي تواكب النص القرآني بدون تعارض.

– سار سيد قطب وفق منهج تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بالأثر.

– يعد تفسير سيد قطب ضمن التفاسير بالمأثور ولقد جمع بين الجانب التحليلي والبلاغي والأدبي الاجتماعي، ويصنف كذلك من بين التفاسير الموضوعية، حيث يهتم بالوحدة الموضوعية للسورة.

– يعد سيد قطب ممن اهتم بالقواعد والأصول، ويشهد لذلك كثرة ما ورد في تفسيره من قواعد تفسيرية؛ إما نصا أو إشارة .

– صعوبة التعامل مع تفسير سيد قطب؛ بحيث لابد من بذل الجهد، واستفراغ الوسع بالتأمل الدقيق والنظر العميق من أجل استخراج القواعد التفسيرية .

– وأخيرا أوصي بالاهتمام بدراسة تفاسير المتقدمين وفق أصول التفسير وكيفية توظيف قواعد التفسير، وخصوصا من كان منهم له عناية بالتأصيل والتقعيد في تفسيره .

وفي الختام أحمد الله تعالى أن وفقني لإتمام هذا البحث، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع والمصادر:

- الحربي، حسين بن علي بن حسين، **قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية**، ط1، دار القاسم، الرياض، 1996م.
- السبت، خالد بن عثمان، **قواعد التفسير: جمعا ودراسة**، دار ابن عفان.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت:1376هـ)، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، ط1، مكتبة الرشيد، الرياض، 1999م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:60–102 تاريخ النشر: 30–05–2019

● قطب، سيد (ت: 1387)، **في ظلال القرآن**، ط17، دار النشر: دار الشروق، بيروت، القاهرة 1412هـ

● الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة (ت: 1425هـ)، 1430هـ ـ 2009م، **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل**، ط4، دار القلم، دمشق، 2009م.